قصة (البقعة الغامضة)

بقلم الكاتب "محمود البدري"

الساعة العاشرة مساءً.

عمارة رقم ٣ في أحد الأحياء المرموقة في القاهرة.

الشقة رقم ١٢ القابعة بالطابق السادس.

شقة متوسطة الحجم ومناسبة للغاية نسبةً لِسكانها الجُدد، أثير ونور. لم يمر على زواجهما إلا شهر واحد، وتم الزواج بعد حبٍ دام لأكثر من ست سنواتٍ متتالية، راهنوا العالم وتحدوه وبالأخير اجتمعوا في بيتٍ واحد.

الساعة تدق بصوت مسموع "تن، تن" تعلن عن أنها العاشرة في هذا الوقت يفتح أثير الباب ويلقي السلام على زوجته الرابضة على الأريكة القاطنة في "الصالة" فتجيبه وتلتفت لتراه واقفًا يخلع حذاءه ويضعه في المكان المحدد له ولكنها تندهشُ من شيءٍ غريب كان هناك بقعةً على معطفِه، بقعةً قرمزية اللون واضحة للغاية، رمقته بشدة وقالت بنبرة مترددة:

- ما هذه البقعة يا أثير؟

نظر لها أثير متعجبًا وأردف مجيبًا بسؤالٍ:

- أية بقعة يا نور؟

سألها وبدأ بتفصح ملابسه فصدم من تلك البقعة وخلع معطفه مسرعًا من ثَم اقترب من زوجته وجلس بجوارها واستهلا سويًا الكشف عن

نوع المادة الّتي لطخت المعطف، بدأت نور باشتمامها، مادة ذات راحة نفاذة وقوية عن قرب، رائحتها زكية ولا تستطيع كشف ماهيتها، حاول أثير التفكير مرارًا من أين أتت تلك البقعة، حاول التذكر ولكنه لم يفلح، العقل في تلك المواقف يضحي تحت ضغطٍ كبير فينسى كيف كان يفكر..

نور تشتم الرائحة من جديد وتفكر، تلك الرائحة تشبه أحد العطور الّذي كانت تضعها صديقةٌ لها في أحد الأوقات، ويجول بخاطرها بعض الأفكار العبثية المتطرفة "هل أثير يعبث مع إحدهن من وراء ظهري، نحن لم نكمل الشهر الثاني حتى، لا بالتأكيد فهو يحبني، ولكن هذه الرائحة تشبه العطر الّتي كانت تضعه نسرين صديقتي، وأتذكر أيضًا في أحد المواقف أنه كان معجبًا بهيئتها". ذلك التفكير يفسد رأسها ويعبث بقلبها المسكين، على النقيض يفكر أثير خائفًا ويجول بخاطره بعض الأفكار العجيبة "هل طعنت أحدهم وأنا في حالةٍ أخرى أم ماذا، أنا خائف للغاية، ما تلك البقعة، ولكن رائحتها جيدة، هذا ليس دمًا، إذن ما هذا؟ يا إلهي أنا لا أذكر شيئًا حدث لتصبح النتيجة هذه البقعة، وتلك البقعة خارجية فقط القميص خالي من أي شيء". ترمق نور المعطق وتدقق فيه وتنظر لأثير علّها تجد خيطًا يدلها عن توطيد أفكارها أو هدمها، وهنا تجد خلصةً طويلة على الكتف الأيمن للمعطف "كيف ذلك وشعر أثير قصير، البقعة تقع في الجانب الأيمن وكذلك الخلصة، هل لطخ المعطف من محاولة تلك الفتاة من الإشارة لي أنهما على علاقة لترشدني أنها اختطفت زوجي مني!" الأمر بات يؤلم صدر نور وهناك نغزة تصيبها بألمٍ موجعٍ يسحق القلب ويفتته، حاول أثير في هذه اللحظة التقليل من حدة التفكير وإنهاء الموقف فقال:

- لا أعرف ما تلك البقعة ومن أين أتت، المهم الآن أنني جائع ولنضع ذلك المعطف ليُغسل، وأيضًا وأودُّ القول أنني أفتقدكِ يا أقحونتي.

أجابت نور عليه قائلةً:

- وأنا أيضًا أفتقدُكَ يا عزيزي، هاتني ذاك المعطف واسترح، سأُحضر لكَ الطعام الآن.

قالت ذلك له وبداخلها تقول: "ما الّذي تُخفيه يا أثير؟ تلك البقعة تحمل في طياتها الكثير".

تنهدت وقامت من مكانها وأخذت المعطف لتضعه مع الملابس المتسخة حتى يتم غسله في أقرب وقت، أحضرت نور الطعام ووضعته ليأكلوا وانتهوا سريعًا، مر الوقت والسكوت هو السائد، كلاهما خائف من البوح، نور خائفة من مواجهة أثير بغيرتها، وأثير خائف من كون تلك البقعة سببًا في بداية إحدى المعضلات شديدة التعقيد، وها قد حان وقت النوم لكن التفكير له رأي آخر، ظلت الأسئلة تراودهما وباتا يتقلبا على السرير وقام أثير عدة مرات وانتهى بهما الأمر لينام من شدة إرهاق التفكير.

صباح اليوم التالي، الساعة الثامنة صباحًا.

- أثير، هيا يا عزيزي حتى تذهب لعملك.

قالت نور تلك الكلمات بعدما فتشت في ملابس أثير ولم تجد سوى ورقة مدون بها رسالة صغير تقول: "احترس من التفكير المتزايد؛ فلربما

يقتلك". حينما قرأت نور تلك الكلمات لم تفهم شيئًا، ووضعت الورقة على المنضدة الّتي يتناولوا عليها الطعام، تثئاب أثير وارتجل متحركًا تجاه المرحاض، وهو يمر شاهد الورقة فغير اتجاهه ناحيتها وأمسكها وهو يتثئاب من جديد وينادي على نور التّي في هذه اللحظة تمسك أحد الأطباق محضرةً إياه لتضعه على المنضدة.

- نعم يا أثير، ماذا هناك؟

أردف أثير:

- ما تلك الكلمات المُدونة هنا، ومَن الّذي كتبها؟

رمقته مندهشة واستطرت مجيبة:

- تلك الورقة وجدتها في معطفك، ولم أفهم منها شيء.
- حسنًا، سأذهب لأغسل وجهي وسأعود سريعًا لنأكل.

ذهب أثير وتوضأ وصلى ثُم جلس قبالة زوجته ليتناول الطعام، وهنا فتحت نور باب المناقشة في هذا الموضوع فاستهلت:

- تُرى ما معنى تلك الكلمات؟

صمت أثير لبرهة وأجابها وهو يفكر بصوتٍ عالٍ:

- مَن ذا الّذي له فائدة مِن جعلنا نقع في مصيدة التفكير، وما هي الفائدة؟

طال الصمت بينهما ورمقته نور بشدة وقالت له برفقٍ:

- لقد كان الأمس عصيبًا، لم أظن أني سأفكر لهذا الحد يومًا، ولا أظن أيضًا أن أحدًا غيرك بإمكانه التحكم بقلبي مثلما فعلت أنت، حبكَ تغلب على غيرتي والأفكار الشنيعة الّتي راودتني، أُحبكَ ولن يأتي الحديث بثمارٍ تثبت لكَ ذلك، هيا قم باحتضاني لأُثبت لك أني أُحبك.

ترجل أثير وضمها لصدره ونسي العالم، ذاب بين أحضانها كأنها وطنه الّذي يعود له بعد سنينٍ من الغربة، وكأن خارج أضلعها ضياع، كأن الخوف يخاف من وجوده بجوارها فتطمئنُ جوارحه، وكانت هي الأخرى كذلك.

في هذا الوقت بعدما انتهى من ضمها استئذنها وتحرك إلى المرحاض ليغسل يداه من ثَم يرتدي ثيابه ويذهب للعمل، وبعد دقائق أنهى كل ذلك وودع زوجته وغادر. "التفكير مهلكٌ للغاية ولا يضاهيه شيئًا وألمه لا يُدواى سوى بهجره والتغاضي عن أسبابه وهذا الأمر أشد إيلامًا ولكنه يؤتي بثماره".

مر اليوم ببطءٍ شديد بين متابعة أثير لكل صغيرة وكبيرة تحدث من حوله علّه يكتشف السبب، وبين التفكير الّذي أرهق رأس نور لا وبل قلبها أيضًا، وفي نهاية الدوام الخاص بأثير قرر أن يهاتف نور ويتناولوا الغداء خارجًا، ففرحت نور للغاية؛ لأنها المرة الأولى الّتي يخرجوا فيها سويًا بعد شهر "العسل" استعدت نور وقبل نزولها كتبت في مذاكرتها ساردة للورق:

"اليوم سنخرج أنا وأثير وسنقضي يومًا رائعًا، وبالتأكيد سنشرب القهوة وسنأكل الآيس كريم في هذا الطقس البارد مثلما كنا نفعل دائمًا، أفقتد أيامنا السابقة والشطرنج الّذي لطالما لعبناه، أفقتد كل ما هو قديم وهذا السبب يضيع عليّ بهجة الحاضر".

نزلت نور وخرجا ومر الوقت وهما يستمتعان ناسيان تلك البقعة الغامضة، المهم عندهما الآن هو الاستمتاع بكل لحظة هنا، التفكير يحتم على ذاته تغيير المسار من التفكير في تلك البقعة إلى التفكير في ماذا سيحدث بعد ذلك، وهذا يندرج تحت قائمة عدم خلو البال والسبب الرئيسي في تلك المعضلة الشنيعة هو التفكير في المستقبل، وضع جميع الأسباب نصب الأعين واستنتاج ماذا سيحدث لو؟ ذلك السؤال المتعجرف يضفي للألم سبيلًا شاسعًا ليسير فيه.

عادا كلاهما إلى المنزل والفرحة تغمر قلبهما، صعدا إلى الشقة وصدموا من وجود صندوق أمام الباب، اقترب أثير منه وفتحه ببطء ليجد رسالة ولمّا فتحها وجد أنها مكتوبة بخط اليد.

"عزيزي أثير،

الداعبة الّتي مارستها معك البارحة كانت تجربة أقوم بها لأعرف مدى قابلية الأشخاص للتعرض للتفكير المبالغ في أحد الأمور وأنت الوحيد الحائذ على المقاومة الأعلى؛ فهنيئًا لك، وأعتذر عن تلك الداعبة وانتظر مني الكثير في القادم..

م.م"

أعاد أثير قراءة الرسالة عدة مرات وبالأخير قام بحرقها لكنه لم يستطع التوقف عن التفكير لا بل زاد للضعف "مَن م.م هذا؟ ما الّذي يقصده بما يفعله؟ إني لو أعرفه سأبرحه ضربًا". تلك كانت كلمات أثير ولازال يفكر حتى الآن رغم أن ذلك المدعو م.م لم يرسل له أي شيء آخر.

"م.م: من مجهول". هكذا جاءته الرسالة الجديدة، وجدها موضوعة أمام الشقة وهو خارج في أحد الأيام، كتب في ظهر الرسالة: "إياك وإرهاق ذاتك في التفكير الغير مُجدي، راعها واهتم بالأمور الأكثر أهمية أنت لن تعيش سوى مرةً واحدة فعش برفاهية، وبالمناسبة أنا لست موجودًا في الواقع، أنا فقط قاطنٌ في رأسك".

أنهى أثير الرسالة والتفت للداخل وذهب ليرمي بنفسه بين أحضان نور ويطمئن.

***